مدخل إلى الفنون النثرية

عرف النثر قديما ثم تطور على مر العصور وتنوعت فنونه فكان لكل ضرب منها ميزاته التي تحدده وتفصله عن غيره كما عالج موضوعات عدة.

تعريف النثر:

النثر في عرف بعض النقاد العرب القدامى فن قولي غير منظوم ومرسل يقابل الشعر بعده فنا قوليا منظوما (يحوي الوزن والقافية) كما أنّ النّثر أيضا يعد أحد أشكال الكتابة التي تعتمد على السّرد الطبيعيّ، مثل المُحادثات الحاصلة بين النّاس، والمقالات المنشورة في الصُّحف، والكتب المدرسيّة، وغيرها من مظاهر الكتابة التي تخلو من الكلام الموزون.

غير أن النثر الفني لا يختلف عن الشعر إلا من حيث كمية القيود الموجودة في هذا الأخير، فالنثر شعر لطفت حدته والشعر نثر بلغت الفنية فيه أعلى صورها، ففي النثر ظل من النظم ولولا ذلك ما خفّ ولا حلا ولا طاب ولا تحلا، وفي النظم ظل من النثر، ولولا ذلك ما تميزت أشكاله، ولا عذبت موارده ومصادره، ولا بحوره وطرائقه، ولا ائتلفت وصائله وعلائقه

أنواع الفنون النثرية:

الخطابة:

قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة وهي قياس مركب من مقدمات مقبولة أو مظنونة من شخص معتقد فيه والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم وهي فن من فنون الأدب النثري مختص بكلام يلقى إلقاء أمام الجمهور متسع وتعرف بالخطبة ويهدف إلى توضيح أمر أو قضية هما مثار جدل لإفهام هذا الجمهور وتوجيهه واستمالته بإثارة عواطفه لاتخاذ موقف ما هو الموقف الذي يرمي إليه الخطيب وعرف هذا النوع قديما مع العصر الجاهلي ولازال مستمرا إلى اليوم

أنواعها

قديما قسم أرسطو الخطابة إلى ثلاثة أقسام تبعا لأحوال الزمن من ثبيتية (تختص بالزمن الحاضر لمدح فترغيب أو ذم فتنفير) والشوروية(تتعلق بالمستقبل لتحمل السامع على جلب النفع للجمهورية أو دفع الضرر عنها أو للحض على الحرب أو السلم وسن هذه الشرعية أو تلك واستمالة رأي الجمهور) والقضائية وتختص بالماضي والغاية منها الدفاع عن متهم أو الحكم عليه وهي من خصائص المحامين

أما اليوم فقد تغيرت الظروف وتداخلت الأزمنة في بناء الخطابة وقسمت بحسب مواضيعها(الخطابة السياسية، القضائية، والوعضية الدينية و العلمية والعسكرية) الخطاب

الأمثال:

من صنيع العربي نتيجة تأثره بمحيطه وبيئته وهي أسرع الفنون النثرية تنوعا وأكثرها ديمومة وثباتا.

وتعد الأمثال مرآة ترتسم فيها تجارب الشعوب ومثالا للبيئة التي نشأت فيها وتأتي أهميتها على مستويين الأول فكري والثاني لغوي:

فعلى المستوى الفكري تمثل الأمثال مراحل مهمة للتفكير البشري إذ نلمس فيها الأثر الفاعل للعقل الإنساني في قدرته على تصوير الأحداث في الحياة الاجتماعية، للاستفادة منه في المواقف والأحداث المختلفة وتأتي أهميتها على هذه المستوى أيضا في أنه يكشف النقاب عن المراحل التي تختلف باختلاف المجتمعات وتطورها في تقديم رؤى معمقة تعكس حركة العقل ورجاحته وحيويته وسرعة استجابته للضرورات والمطالب

أما على المستوى اللغوي، فتمثل الأمثال بيدرا للغة الصافية البعيدة عن ضرورات الصياغة والتصنع وتتجلى أهميتها في هذه الناحية أن الزمن لا يكدر صفو نقائها، فتنتقل عبر العصور، حاملة معها وشم العصور كلها، معبرة عنها بكل صدق ونقاء

من أجل ذلك راقت للعامة والخاصة فتداولتها الألسن وتناقلتها الأجيال للتمثيل بها في المواقف المختلفة لتأييد فكرة أو إزالة غموض أو إقامة حجة فشاعت وسادت أكثر من غيرها من الفنون

قال ابن عبد ربه هي وشي الكلام وجوهر اللفظ وحلي المعاني ...فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة لم يسر شيء مسيرها ولا عم عمومها حتى قيل أسير من مثل...

والمثل هو جملة خيالية ذائعة الاستخدام تدل على صدق التجربة أو النصيحة أو الحكمة يرجع إليها المتكلم وقديما عرفوا المثل بأنه حكمة شعبية قصيرة تتداول على الألسنة وحقيقة أن الحكمة لا تختلف عن المثل كثيرا، لكن لعلها أخص منه بما تمتاز به إذ هي أقدم منه استعمالا وأشرف معنى وأعمق فكراً وأدل على المقصود وأبقى مع الزمن والمثل أيضا هو جملة غالبا ما تكون قصيرة تعبر عن حدث ذي مدلول خاص لكن يبقى على المستمع تخمينه.
ويعرف المثل أيضا بكونه عبارة موجزو بليغة شائعة يتوارثها الخلف عن السلف تمتاز بالإيجاز وصحة المعنى وسهولة اللغة وجمال جرسها لذا فسمات المثل هي الاقتضاب الحيوية والسلاسة ودقة التصوير بالإضافة إلى إمكانية استخدامه في سياقات مختلفة

المقامة:

حديث أدبي بليغ وهي أدنى إلى الحيلة منها إلى القصة فليس من القصة إلا الظاهر فقط أما في حقيقتها فحيلة يطرفنا بها بديع الزمان وغيره لنطلع من جهة على حادثة معينة ومن جهة ثا نية على أساليب أنيقة ممتازة
والمقامة فن عربي أصيل ظهر في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري في العصر العباسي وابتدأ التأليف فيه بديع الزمان الهمذاني ثم تلاه الحريري والزمخشري وابن الجوزي والسيوطي وغيرهم ويتكئ هذا الفن على ألوان من البلاغة لعل أبرزها فن البديع فتأتي الجمل محلاة بالسجع والجناس فتأخذ ألباب الناس؛ ويضمنها الكتاب شعرا لهم أو لغيرهم في إطار قصة قصيرة يبدأها الراوي ويحكيها ويكون له بطل يجري ما يشاء على لسانه
هذا الفن ليس للترفيه بالرغم من وظائف السخرية والتهكم والإضحاك التي تؤديها كما أنه ليس لإبراز موهبة كاتبه فحسب وإنما أيضا فن ناقد موجه يأخذ بالقلوب والأسماع تذوقا ويعالج ما يحتاجه المجتمع من تقويم أو تصحيح مسار. وقد كتب هذا الفن في العصر الحديث ناصف اليازجي وفي عصرنا ياسر قطامش وعائض القرني ووليد كساب وعبد العزيز الحربي وغيرهم مقامات المكاوي
للمقامات ميزات ثلاث: السفر والنسبة والتخفي فالخطاب ينسب إلى شخصيتين خياليتين ثابتتين أحدهما أديب متسول والآخر راو يتبع الأول أينما حل وارتحل وأما السفر فسمة مميزة للمقامة، إذ نجد كلا من البطل والراوي في ترحال دائم بحثا عن قصة جديدة أما التخفي فقد لعب الدور الأساس في استحداث موضوع الكدية الذي يلجأ إليها البطل لأداء دوره البطولي في المقامة.

الرسائل:

فن نثري جميل يظهر مقدرة الكاتب وموهبته الكتابية وروعة أساليبه البيانية المنمقة القوية وهي نص موجه إلى فرد أو جماعة وهي قطعة من النثر الفني تطول أو تقصر تبعا لمشيئة الكاتب وغرضه وأسلوبه وقد يتخللها الشعر إذا رأى لذلك سببا وقد يكون هذا الشعر من نظمه أو مما يستشهد به من شعر غيره وتون كتابتها بعبارة بليغة وأسلوب حسن رشيق وألفاظ منتقاة ومعان طريفة
و عرفت الرسائل فنا نثريا له أسسه في العصر الأموي، وتطورت في العصر العباسي ولها أنواع الديوانية والاخوانية و الأدبية ، وهي عامة وخاصة ومن شروطها**: البساطة**: أي أن تكون الرسالة خالية من التكلف، بعيدة عن الزخرف. **البيان**: أي أن تكون عبارات الرسالة واضحة ليس فيها غموض أو إبهام.
الإيجاز: أي عدم الإسراف في القول ، أو الإسهاب فيه ، لأن إطالة الرسالة قد يخرج بها عن الغرض الذي وضعت من أجله . **الملاءمة**: وتعني مراعاة منزلة المرسل إليه ، وعلاقته بالمرسل ،بحيث يكون أسلوب الرسالة ملائماً لمكانة المرسل إليه ودرجة معرفته. **جودة التعبير**: وذلك بأن يكون الأسلوب مشرقاً لتنزل الرسالة منزلتها الحسنة في نفس المرسل إليه .

المقالة:

قطعة مؤلفة متوسطة الطول وتكون عادة منثورة في أسلوب يمتاز بالسهولة والاستطراد وتعالج موضوعا من الموضوعات ولكنها تعالجه على وجه الخصوص من ناحية تأثر الكاتب به ولمقالة أنواع عدة فقد تكون ذاتية أو سياسية أو دينية أو غير ذلك.
وهي نزوة عقلية لا ينبغي أن يكون لها ضابط من نظام أو قطعة تجري على نسق معلوم ولم يتم هضمها في نفس كاتبها
ويرى موري بأن المقالة الأدبية قطعة إنشائية ذات طول معتدل تدور حول موضوع معين أو حول جزء منه ...وكانت في الأصل تعني موضعا يحتاج إلى مزيد تهذيب ولكنها أصبحت الآن تطلق على أية قطعة إنشائية يختلف أسلوبها بين الإيجاز والإسهاب ذمن مجالها الموضوعي المحدود لمقال الادبى عند العقاد

الرواية:

الرواية في أبسط تعريف لها تجربة أدبية يعبر عنها بأسلوب النثر سردا وحوارا من خلال تصوير حياة مجموعة أفراد (أو شخصيات)، يتحركون في إطار نسقي اجتماعي محدد الزمان والمكان، ولها امتداد كمي ومعين يحدد كونها رواية وهي أيضا نقل مكتوب أو سرد مقروء ينقل من خلاله الراوي ما يريد، حيث يكون الروائي متسما بالرؤية والتكنيك تنبع من تأمل الواقع واستبطان أسراره.
كما أنها نوع أدبي منفتح بامتياز على مختلف تشكيلات الفعل الإبداعي مما يشكل عنصر إثراء للرواية وتنوع لآليات إنجازها، وبالتالي فالرواية هي الجنس الأدبي الأقدر على التقاط الأنغام المتباعدة المتنافرة المركبة، المتغايرة الخواص لإيقاع عصرها ورصد التحولات المتسارعة في الواقع الراهن.

القصة:

تعرف القصة بكونها ظاهرة إنسانية وجدت منذ المجتمعات الإنسانية المبكرة لتلب – كما لا تزال تلبي حتى اليوم- حاجات نفسية واجتماعية وربما جمالية في ذلك الوقت فهي تفسر كثيرا من الظواهر الطبيعية التي تحيط بالإنسان وتجيب على كثير من أسئلته.
فالإنسان منذ خلق مولع بالقص يمارسه دون أن يدري ما اسمه ومع نضج الإنسان اجتماعيا وذهنيا ونفسيا أصبح يغرم بالقصة للمتعة وإزجاء وقت الفراغ ثم إذا يطلبها لإعادة الماضي العزيز، وهكذا أصبحت القصة أنيسه بالليل والنهار ومادة سمره مع الجماعة بل لقد باتت ميراثه الذي يخلفه لأحفاذه راجيا حفظه **فن القصة القصيرة عند وليد إخلاصي**
والقصة فن ارتبط بفترة ازدهار المجتمع العربي حضاريا بانتقاله من طور البداوة إلى طور المدينة والعمران وقد اختلفت القصة عن القصة القصيرة جدا أو الأقصوصة.

السيرة:

هي فن أدبي يجمع بين التحري التاريخي ويراد به مسيرة حياة إنسان ورسم صورة دقيقة لشخصيته وهي بحث يقدم فيها الكاتب حياته أو حياة أحد الأعلام المشهورين ويبرز فيها المنجزات التي تحققت في حياته أو حياة المتحدث عنه
ولأجل ذلك فالسيرة متعددة تبعا للنوع والشكل الذي تلبسه ولكن أشهر السير وأعمها قسمان:
السيرة الغيرية: وتكتب بضمير الغائب يراد بها الجنس الأدب الذي يكتبه أفراد عن غيرهم من الناس سواء أكانوا عاشوا في الزمن الماضي أو في الزمن الحاضر وهي أقدم زمنا من النوع الثاني

السيرة الذاتية:

وهي ترجمة حياة إنسان كما يراها وتتعلق بالواقع وقد ورد مصطلح السيرة الذاتية من انجلترا في بداية القرن التاسع عشر وكلمة سيرة تدل على معنيين قريبين ومختلفين في الآن ذاته
المعنى الأول: حياة شخص مكتوبة من قلبه فهي قسم من الاعتراف في ضد المذكرات التي تسرد أحداثا يمكن أن تكون غريبة عن السارد.
والمعنى الثاني: هي كل نص يبدو أن كاتبه يكتب عن حياته أو مشاعره مهما كان الميلان من جهة الكاتب وهذا المعنى هو الذي قصده فابيروا في المعجم الكوني للأدب 1876 حينما قال فيها: إن السيرة الذاتية عمل أدبي رواية سواء كان قصيدة أم مقالة فلسفية قصد المؤلف فيها بشكل ضمني أو بشكل صريح رواية حياته وعرض أفكاره أو رسم حياته.

المسرحية:

المسرح جنس وافد إلى ثقافتنا وقد تعثر لأسباب كثيرة وهو لون من ألوان النشاط الفكري البشري المخصوص بالتعبير عن مشاعر الإنسان ودوافعه وعلاقاته وتاريخه وقيمه ونوازعه وإرادات أفراده بوصفهم ذوات خاصة
ويذهب نقاد المسرح إلى أن النص المسرحي يتكون من قسمين متمايزين لا يمكن الفصل بينهما، وهما الحوار والإرشادات المسرحية، وحتى إن غابت هذه الإشارات المسرحية ظاهريا فإنها تظل مع ذلك موجودة في النص المسرحي ما دامت تتمثل على الأقل في أسماء الشخصيات، وفي توزيع الأدوار ، داخل الحوار.
وللمسرحية أشكال مختلفة منها المأساة والملهاة

تطور النثر في العصر الحديث:

غلبت على النثر في عصر الانحطاط ملامح التخلف وقد كان لعوامل النهضة أثرا واضحا في تطور النثر العربي إذ بذل الأدباء جهودا واسعة لنقله من الجمود نحو التطور وإيقاظه من سباته العميق ليحيا حياته الجديدة والمختلفة.

مظاهر تطور النثر:

اتصل تطور النثر بثلاث جوانب مهمة وهي:

اللغة التي انتقلت من الكلفة والتصنع والاهتمام بالجرسية إلى الاهتمام بالمعنى والتحرر من قيد اللفظ معانقة أفق الحياة متصلة بمعطيات الواقع الإنساني الذي يريد الأديب نقله.
الموضوع الذي ابتعد عن محاكاة الراهن يهجر في النثر الحديث زمن الآخر المنقضي ليعبر عن قضايا الذات المعاصرة ملبيا تطلعات الشعوب وآمالها ليحلل الخطاب النثري جوانب مختلفة من الحياة سياسية، أخلاقية تربوية اجتماعية دينية..
أدت حركة الانعتاق تلك إلى ظهور فنون نثرية مستجدة أكثر استيعابا لمعطيات العصر فظهرت المسرحية والقصة والرواية.

خصائص النثر في هذه المرحلة:

يمكن إجمال خصائص النثر فيما يأتي:

تقصير الجمل ، بحيث أصبحت الجملة الواحدة مختصة بأداء معنى واحد ، ولم يعبر عن المعنى الواحد بجمل متعددة. وترك المبالغة ، واجتناب الزخارف اللفظية والسهولة والوضوح ، لأن الصحف وقراءها لا يسيغون الغموض والتعقيد الذي يبعد بالمقال عن هدفه ,اختيار الألفاظ الجملية المتأنقة ذات الموسيقي التي تمتع القارئ وتجذبه .

مراحل تطور النثر الحديث:

1- **مرحلة البدايات:** وحدثت نتيجة الاتصال بالحضارة الغربية وفيها تمت محاولة التخلص من الموضوعات التقليدية غير أن الغالب هو عدم خلوه من عناصر الضعف حيث كان يودهي أثواب الزخرفة والألاعيب اللفظية وتم الاهتمام بمواطن الحسن في الكلام عبر استخدام المحسنات البديعية ومن أمثلة ذلك نثر الجبرتي في كتابه عجائب الأثار، والطهطاوي في كتابه تخليص الإبريز في تاريخ باريز. اليازجي بمقاماته مجمع البحرين
امتاز ناصف اليازجي(الكاتب) بكتابته في الشعر والنثر معا فترك لنا دواوينه ومقاماته وأراجيزه وسائر مؤلفاته ألف اليازجي ستين مقامة جمعها في كتابه مجمع البحرين والذي يطالع هذا الكتاب يجده مجموعة من الغرائب البديعية والصناعات الشعرية والمعلومات اللغوية والنحوية والأوضاع الطبية والفلكية والأمثال العربية والألغاز اللفظية كل ذلك في جو من البداوة يشعر القارئ فيه أنه يعيش بين مضارب الأعراب، أو في عصور العربية الأولى بعيدا عن عصر الكاتب وبيئته ويسود هذه المقامات التشاؤم وقد ضمت خطابات عدة الديني الذي تمثل في العلاقة بين المسيحية والإسلام وحوار الأديان، والسياسي الذي نبنى إصلاح المنظومة الفكرية والأدبي الذي سعى فيه اليازجي إلى تنمية وعي الإنسان العربي وحثه على الحفاظ على لغته والتاريخي الذي تمثل في ماضي الحضارة المفقود.

2- **مرحلة الانتقال:** وفيها احتدم الصراع بين المقلدين والمجددين وازدهرت بعض أشكال النثر وظهرت أخرى جديدة إذ تم تطوير الخطابة وظهر المقال وبدأت كتابة القصة في شكل مقامات وقل التكلف مع اسمرار المحافظة على الجرس الموسيقي عبر استخدام السجع ومن أمثلة ذلك (عبد الرحمن الكواكبي في طبائع الاستبداد والمويلحي في كتابه حديث عيسى بن هشام).
امتزجت لدى الكواكبي الرؤية النظرية بالرؤية النضالية، فقدم لنا فكرا أصيلا ما يوال صالحا إلى اليوم؛ لأنه ابن التجربة المعيشة والجهاد اليومي، وقد بدأت مواقفه في الرفض بمقال كتبه في نقد السلطة في جريدتها الرسمية، ثم في إصداره جريدة الشهباء أول جريدة في حلب، وكانت منبرا للآراء الحرة المناهضة للسلطة، وعند تعطيلها تابع نضاله في جريدة اعتدال، وظل ثابتا على مواقفه، حتى عطلت أيضا، احتج على ظلم الفلاحين من قبل الموالي واضطهاد المشايخ العرب، قال في طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد الذي بدأ الأديب نشره في حلقات في صحيفة المؤيد:
"إن المستبد يتخذ الممجدين سماسرة لتغرير الأمة باسم خدمة الدين أو حب الوطن أو تحصيل منافع عامة أو الدفاع عن الاستقلال. والحقيقة في بطلان كل هذه الدواعي الفخيمة التي ما هي إلا تخيل وإيهام يقصد بها رجال الحكومة تهييج الأمة وتضليلها حتى إنه لا يستثنى منها الدفاع عن الاستقلال، لأنه ما الفرق على أمة مأسورة لزيد أن يأسرها عمر؟ وما مثلها إلا الدابة التي لا يرحمها راكب مطمئن، مالكًا كان أو غاصباً."
ويبدو لنا ضيق الكواكبي وقرفه من حياة إنسانية ترزح تحت نعال المستبد، مما جعله يظهر طبيعة الاستبداد ونتائجه محاولا إعادة بناء الإنسان الذي شوهه الاستبداد، وقد توصل إلى أن الاستبداد السياسي متولد عن

الاستبداد الديني، ولم يقدم شواهد معينة لأنه لم يرد أن يقصد ظالما بعينه حتى لا يتحدد الكتاب بزمان أو مكان يتأطر بهما.

3- **مرحلة الازدهار**: وظهرت خلالها مدرستين في الكتابة النثرية:

- المدرسة الإحيائية (المحافظون): ممن حرصوا علة سلامة اللغة وجودة الصياغة وتبنوا السهولة في الصياغة وجمال الإيقاع وعدم التكلف في استخدام المحسنات والإكثار من المرادفات وتناول الموضوعات الاجتماعية ومن بينهم الرافعي والمنفلوطي والزيات.

- مدرسة المجددين: حاولوا الإلمام بالموضوعات السياسية والأدبية والفلسفية متأثرين بالغرب ومالوا إلى السهولة وتميزوا بعمق الفكرة ودقتها وتحليلها وعالجوا قضايا النقد والتحليل النفسي والاجتماعي، ومن بينهم أحمد لطفي السيد عباس محمود العقاد طه حسين توفيق الحكيم محمد حسين هيكل أحمد أمين، جبران ، مخائيل نعيمة)